إضاءات نقدية (فصلية محكّمة)
السنة الأولى – العدد الأول – ربيع ۱۳۹۰ش / آذار ۲۰۱۱م

التأثيرات الغربية والشرقية فى أدب الأطفال عند نسيم شمال (گلزار ادبى نموذجا)

إيناس محمد عبدالعزيز*

الملخص

گلـزار ادبى (الروضة الأدبية) عبـارة عن مجموعة من الحكايات التى نظمها نسـيم شـمال فى قالب المثنـوى، يبلغ عددها ثلاثة وثلاثين مثنويا.وقد اعتمد شـاعرنا فى نظم هذه الحكايات على الكلمات السـهلة اليومية، فمن المعروف أن اللغة تلعب دورا مهمـا فى الأدب الموجه للأطفال، فاللغة المناسـبة لهم هى اللغة السـهلة البعيدة عن التكلـف الخاليـة من التعقيدات، والتـى يمكن أن توصل الأفكار إلـى عقول الصغار بسهولة ويسر. لذلک ابتعد شاعرنا عن الألفاظ الفصحى المعقدة والمجازية والتعبيرات الغامضة التى يصعب على الطفل فهمها، كما ابتعد عن الألفاظ العامية والألفاظ السوقية المبتذلة حتى لايتعود عليها الطفل، ويحقق هدفه التعليمى وهو رفع مستوى لغة الطفل دون عسـر فى الفهم، وكذلک ليضفى على شـعره قدرا من الرسمية والكلاسيكية، كما أضفى على حكاياته سـمة الجدية وليس الهزل أو السـخرية، باستثناء حكاية واحدة بعنوان (الأصلعان) يمكن أن نرى فيها عناصر موجزة للسخرية، وهذه الحكايات كانت تعليمية من الدرجة الأولى ولم يعتمد فيها على الرمز الهادف إلى الأوضاع السياسـية والاجتماعية والدينية، كما هو واضح فى ديوانه إلا فى ست حكايات.

الكلمات الدليلية: نسيم شمال، گلزار أدبى، الأطفال، الأدب.

---

*. أستاذة مساعدة بجامعة القاهرة.
Enas2006@hotmail.com

تاريخ الوصول: ۱۳۹۰/۲/۱هـ. ش
تاريخ القبول: ۱۳۹۰/۲/۱۱هـ. ش

المقدمة

تعد أغلب أشـعار هذا الكتاب ترجمة أو اقتباسا لأشـعار لافونتين وفلوريان، يقول نسـيم شـمال فى مقدمته لهذا العمل: «لقد اسـتنبطت أغلب هذه الحكايات من قصص لافونتين وفلوريان، وهما من الكتاب الفرنسيين المشهورين فى كل أنحاء أوربا.»

لكن ليس معلوما كيف حصل على قصص لافونتين وفلوريان وبأية لغة اطلع عليها، لكن هناك احتمال كبير أنه تعرف عليها من خلال الترجمات، سـواء عن طريق جريدة مـلا نصرالدين، أو عن طريق الجرائد الأخرى التى كانـت تأتى من باكو ومدن القوقاز الأخرى إلى رشت، و تصل إلى أيدى المفكرين والمثقفين الإيرانيين، لكن الأمر المفروغ منه هو أن السيد ميرزا حسن خان نائب المعارف فى جيلان قد ساعد شاعرنا فى عمله هـذا، علـى حد قوله فى مقدمة الكتاب: قبل إنهاء الحديث لابد من توجيه الشـكر إلى صديقى الغالى العظيم ، العالم الذكى، الأديب البارع السيد ميرزا حسن خان نائب العلوم فى جيلان أدام الله عطاءه الذى لم يضق بمساعدتى فى اختيار الكتاب.

وعلى الرغم من تأثر شـاعرنا بلافونتين وفلوريان فى نظم أشـعار هذا الكتاب فإن هذا لم يجعله يغفل الأدب الفارسـى والعربى والإغريقى، ولذلك سـنحاول الإشارة إلى الحكايات المماثلة لحكايات نسيم شمال فى مصادر أخرى:

عنوان الحكاية عند نسيم شمال	حكايات مشابهة فى مصادر أخرى
گرگ وبره (الذئب والحمل)	أيسوب: أنت دائما على خطأ. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ٣٧. لافونتين: الذئب والحمل. الكتاب الأول. محمد عثمان جلال. الذئب والخروف ص ١٠ – ١١.
آهو ومو (الغزال وشجرة العنب)	لافونتين: الغزال وشجرة الكرمة. الكتاب الخامس محمد عثمان جلال: الكرمة والأيل ص ٦٦– ٦٧.

شیر وموش (الأسد والفأر)	أیسوب: الفأر والأسد. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص۴۳. أیسوبوس: الصیاد والأسد. ترجمة صلاح عبدالعزیز محجوب ص ۵۸. لافونتین: الأسد والفأر. الکتاب الثانی محمد عثمان جلال: السبع والفأر ص ۷۳.
خارکش ومرگ خواستن از خدا (الحطاب وطلب الموت من الله)	أیسوبوس: الرجل والموت. ترجمة صلاح عبدالعزیز محجوب ص۳۲ – ۳۳. أمثال لقمان الحکیم: الإنسان والموت ترجمة صلاح عبدالعزیز محجوب ص ۳۴. لافونتین: الموت والحطاب. الکتاب الأول محمد عثمان جلال: الموت والحطاب ص ۴۳.
حیوانات طاعون زده (الحیوانات المصابة بالطاعون)	لافونتین: الحیوانات المحمومة. الکتاب السابع محمد عثمان جلال: طاعون الوحوش ص ۳۹ – ۴۰.
بچه موش (الفأر الصغیر)	لافونتین: الدیک والقط واالفأر. الکتاب السادس محمد عثمان جلال: الفأر والدیک والقط. ص ۲۰.
بلبل ومور (البلبل والنملة)	أیسوب: النملة والخنفساء. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص۸۳. أیسوبوس: النملة والقبرة. ترجمة صلاح عبدالعزیز محجوب ص۸۵. سعدی الشیرازی: البلبل والنملة. رسائل نثریة، المجلس الأول. الکلیات ص ۹۶۸. لافونتین: البلبل والنملة. الکتاب الأول محمد عثمان جلال: الصرار والنملة ص ۴.
کلاغ وروباه (الغراب والثعلب)	أیسوب: الغراب والثعلب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص ۲۹. لافونتین: الغراب والثعلب .الکتاب الأول محمد عثمان جلال: الغراب والثعلب. ص ۵.

دو قاطر (البغلان)	أيسوب: ليس عندى ما أخسره. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص ۶۸. لافونتين: البغلان. الكتاب الأول محمد عثمان جلال: بغلة الأثقال وبغلة المال. ص ۷.
خر وتوله سگ (الحمار والجرو)	أيسوب: اعرف حدودک. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص۷۳. لافونتين:.الكتاب الرابع محمد عثمان جلال: الحمار وصاحبه. ص۲۴ – ۲۵.
اعضای بدن انسان (أعضاء جسم الإنسان)	أيسوب: المعدة أم الأقدام. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص۸۶. أيسوبوس: مناظرة المعدة والأقدام. ترجمة صلاح عبدالعزيز محجوب ص ۹۷. أمثال لقمان الحكيم: البطن والأقدام ترجمة صلاح عبدالعزيز محجوب ص ۹۸. لافونتين: المعدة والأعضاء. الكتاب الثالث محمد عثمان جلال: المعدة والأعضاء ص ۹۳.
پدری با پسرش (أب وابنه)	لافونتين: الطحان وابنه والحمار. الكتاب الثالث. محمد عثمان جلال: الطحان وابنه والحمار. ص ۱۲۸ – ۱۲۹. إبراهيم العرب: الحارث وزوجته والجحش. ص ۹۸ – ۹۹. لطيفه های ملا نصر الدين: ص ۹۴ – ۹۵.
شتر وقوچ وگاو (الجمل والكبش والثور)	جلال الدين الرومى: الجمل والثور والكبش. المثنوى المعنوى. مج ۶ ص. سندباد الحكيم. الذئب والثعلب والجمل. ترجمة أمين عبدالمجيد بدوى. ص۸۳.
كور وچلاق (الأعمى والقعيد)	فلوريان: الأعمى والقعيد. الكتاب الأول إبراهيم العرب: الأعمى والمقعد. ص ۷ – ۸.

پادشاه وچوپان (الملک والراعی)	فلوریان: الملک والراعیان. الکتاب الأول إبراهیم العرب: الملک والراعیان. ص ۱۴ – ۱۵.
ماهی سیم (السمکة)	فلوریان: السمکة. الکتاب الأول إبراهیم العرب: السمکة. ص۵۰ – ۵۱.
گربه وآیینه (القط والمرآة)	فلوریان: القط والمرآة. الکتاب الأول إبراهیم العرب: الهر والمرآة ص ۵۵.
ما ومن (نحن وأنا)	أیسوب: الشریک. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص ۱۰۰. فلوریان: المسافران. الکتاب الأول. إبراهیم العرب: السائحان. ص ۸۵ – ۸۶.
شیر ودو گاو (الأسد والثوران)	أیسوبوس: الأسد والثوران. ترجمة صلاح عبدالعزیز محجوب ص۴۶.
فیل وپشه (الفیل والبعوضة)	أیسوب: قلیل الشأن. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص۸۲. أیسوبوس: بعوضة وثور. ترجمة صلاح عبدالعزیز محجوب ص ۱۱۰. أمثال لقمان الحکیم: بعوضة وثور ترجمة صلاح عبدالعزیز محجوب ص۱۱۰. فرید الدین العطار: البعوضة والشجرة. فی المقالة الثالثة عشرة فی منظومة مصیبت نامه.
شیر وپلنگ وروباه (الأسد والنمر والثعلب)	أیسوب: الأسد والدب أو حصاد بلا تعب. ترجمة إمام عبد الفتاح إمام. ص۳۰.
شتر وخر (الجمل والحمار)	إبراهیم العرب: الجمل والحمار. ص ۹۸ – ۹۹.
دو کچل (الأصلعان)	فلوریان: الأصلعان. الکتاب الخامس
دروغگو (الکاذب)	تشبه من حیث المغزی حکایة طلب النجدة عند أیسوب ترجمة: إمام عبدالفتاح إمام ص ۱۰۹.

گربه وقالب پنير (القطة وقالب الجبنة)	تشبه من حيث المغزى حكاية الحمل والذئب والليث عند إبراهيم العرب ص ۱۵.
گرگ واردک (الذئب والبطة)	–
پلنگ وگربه (النمر والقطة)	–
اسب وسگ (الحصان والكلب)	–
كچل (الأصلع)	–
خانه (البيت)	–
راست ودروغ (الصدق والكذب)	–

بناء على هذا الجدول هناك حكايات مشـتركة بين نسـيم شمال وعدد من الكتاب والشعراء الغربيين والشرقيين، كان قد تأثر بهم خلال نظمه لحكايات كتابه (گلزار ادبى)، وهم: لافونتين، وفلوريان، وأيسـوب، ومولانا جلال الدين الرومى. لكننا هنا سـنكتفى بإجراء موازنة بينه وبين لافونتين.

نسيم شمال ولافونتين

واضح من الجدول السـابق أن هناك اثنتى عشـرة حكاية مشتركة بين نسيم شمال ولافونتين، الذى يعد «أشـهر من أدخل إلى الآداب العالمية الحديثة القصص على لسان الحيوان وأعطاه أبعادا شـعرية ودرامية جديدة، وجعله ملائمـا لروح العصر، فى الوقت الذى ربطه بكل تراث القدماء، من قبل أيسوب الإغريقى، ولقمان الشرقى وفيدر اللاتينى وبيدبا الهندى من خلال الترجمة الفارسية للنص العربى لابن المقفع.»

رغم تأثر لافونتين بحكايات القدماء، لكنه اتخذ لنفسه نهجا فى صياغتها، فقد تجنب الجانب الحكمى والوعظى الواضح فى حكايات أيسوب، وقد يرجع ذلك إلى أنه «كان يرى الحكاية الخلقية على لسـان الحيوان ذات جزأين يمكن تسـمية أحدهما جسـما والآخر روحا فالجسم هو الحكاية، والروح هو المعنى الخلقى، ولكى يشف الجسم عن الـروح لابد من إجـادة تصويره تصويرا يثير كل ما للروح مـن خصائص. ولذا حرص

لافونتين على توافر المتعة الفنية فی حكايته، بحيث يصور فی شـعره الأفكار العامة من وراء الحقائق الحسـية، ويجمع هذه الحقائق الدقيقة التـی تتوارد لتوضيح الفكرة العامة، حتى يستطيع العقل أن يحس أفكاره، وبذلک تبرز الأفكار العامة من وراء التصوير الفنی واضحة من تلقاء ذاتها.»

كما تخلی لافونتين غالبا عن الأحداث الاستطرادية التی لاتخدم الحكاية ولاتساعد على تطور الحدث، كالحكايـات الفرعية المتداخلة كما فی حكايات كليلة ودمنه، ومن الممكن اعتبار بعض حكايات لافونتين ضربا من القصة القصيرة؛ لأنها غالبا تدور حول حادثة واحدة أو موقف واحد أو حالة نفسية أو شعورية فی لحظة ما، وتعتمد على السرد أو الحوار، وشـخصياتها قليلة، أما أحداثها فمرتبة ترتيبا منطقيا، تتسم بالوحدة والترابط النصی فی سـياق يشـكل مقدمة وعقدة وحلا يخلو من المغزى، حيـث يترک للقارئ اسـتنتاجه، وهذا يدل على انتقال الحكی الشعبی على يدی لافونتين إلى قص فردی له خصائصه الأسـلوبية الجديدة، مما يعنی أن لافونتيـن قد بلغ بهذا الجنس الأدبی أقصى مـا قدر له من كمال فنی وبـرع فيه، مما جعله مثالا يحتذی بـه، وحاكاه الكثيرون من الآداب المختلفة، من بينهم شاعرنا نسيم شمال الذی كان من الممكن أن يرجع إلى تراثه الممتلیء بهذا الجنس الأدبی والذی يعد أحد مصادره، إلا أنه أعجب بأسلوب لافونتين وتأثـر به. لكن لتوضيح مدى الاتفاق والاختلاف بينهما فی كيفية تناول الاثنتی عشـرة الحكاية المشتركة بينهما سنركز على ثلاثة محاور على النحو التالی:

أ. مقدمات الحكايات:

تبين لنا من خلال الاثنتی عشرة الحكاية أن لافونتين كان قد اعتمد على ثلاثة أنواع للمقدمـات، النوع الأول وهو المقدمـة التعريفية التی تبدأ بتقديم أبطال الحكايات، وهی الأكثر اسـتخدامًا عند لافونتين، مثال حكاية (الغزال وشـجرة الكرمة)، وحكاية (الموت والحطـاب)، وحكاية (الحيوانات المحمومة)، وحكايـة (الديک والقط والفأر)، وحكاية (البلبل والنملة)، وحكاية (البغلان)، وكذلک حكاية (الثعلب والغراب) التی بدأها قائلاً:

– السيد غراب على فرع الشجرة.

– يمسک بمنقارة قطعة الجبنة.

والنوع الثانى هو المقدمة التمهيدية التى يوضح من خلالها الشاعر استراتيجية الحكاية ومغزاها، حيث تتضمن العبرة والعظة، وهذا النوع من المقدمات يشبه مقدمات الحكايات فـى كليلة ودمنة، على سـبيل المثال حكايـة (الذئب والحمل)، التـى يبدؤها لافونتين قائلا:

– منطق الأقوى دائما هو الأفضل.

– وسـنوضـح ذلـک حـالا.

كما بدأ (حكاية الأسد والفأر) قائلاً:

– يجب أن يساعد بعضنا بعضا قدر استطاعتنا.

– فغالـبا ما تحـتاج إلـى الأصـغر مـنک.

– مـن هـذه الحقيقة حكاية اثنين يشكلان الواقع

– والأمـثلة علـى ذلـک كثـيـرة.

والنوع الثالث هو المقدمة التأصيلية التى يسوق الشاعر من خلالها قضية ما أو يطرح موقفـا ما، ثم يعززه بحكاية تعد بمثابة حكاية تمثيلية؛ لأنها تقوم مقام الشاهد أو المثل، مثال حكاية (الطحان وابنه والحمار)، ومقدمتها طويلة على النحو التالى:

– إن اختراع الفنون حق لمن لهم السبق،

– فنحن مدينون لليونان القديمة بهذه الأسطورة الأخلاقية.

– فهذا الحقل لايمكن أن ينبت.

– ولايستفاد من نبته إلا بعد مرور آخرين فيه.

– كل يوم يمر يهتدى كتابنا إلى اكتشاف جديد.

– الآن أريد أن أقص عليک شيئا قد تم إبداعه

– وقد نقله فى الماضى ماليرب إلى صديقه راكان.

– هذان الخصمان لهوراس وورثة لير.

– وهما تلميذان لأبوللو وأستاذينا حتى نحسن القول.

– تقابلا ذات يوم بمفردهما بدون شهود.

– وقد تبادلا أفكارهما واهتماماتهما.

– وهكذا بدأ راكان كلامه: أريد أن تقول لى هذا،

– فأنت على علم كامل بكثير من الأمور الحياتية،

– وأنت الذى تخطيت كثيرا من الصعاب.

– والذى تدرك كل شىء فى هذه السن المتقدمة.

– ما القرار الذى يجب أن أتخذه؟ لقد حان الوقت للتفكير.

– فأنت تعرف قدراتى وموهبتى ونشأتى.

– هل أقيم فى القرية؟

– وأتولى عملا فى الجيش أم أقبل العمل فى البلاط؟

– كل شىء فى الدنيا ممزوج بالمرارة والعذوبة.

– للحرب لذتها وحلاوتها، وللزواج قلقه واضطرابه.

– إذا اتبعت ما أهواه، لعرفت بكل سهولة إلى أى هدف يجب أن أتجه؛

– لكنى لست وحدى، فلدى أسرة وبلاط وشعب يجب إرضاؤهم

– رد ماليرب: إرضـاء الجميع أمـــر صعب.

– والأفضل قبل أن أرد عليك أن تنصت جيدا لهذه القصة:

– قرأت أنه فى أحد الأماكن كان يوجد طحان وابنه.

وكذلك مقدمة حكاية (الأعضاء والمعدة) لكنها مقتضبة إذا ما قورنت بالمقدمة السابقة حيث يقول لافونتين:

– كان لابد لى بحكم موقعى

– أن أكون قد بدأت عملى

– وعندما رأيته

ـ كانت المعدة هى الصورة التى أمامى.

أما نسـيم شـمال فكان دائما يفضل المقدمة التعريفية، على سبيل المثال يبدأ حكاية (الغراب والثعلب) قائلا:

– كان هناك غراب أحمق وتعيس يملك عشا على غصن شجرة.

بينما بدأ حكايته (الذئب والجمل) قائلاً:

– رأى ذئب مجنون ومؤذٍ ومندفع (متهور) حملاً عند مجرى الماء.

وبدأ حكاية (الأسد والفأر) قائلاً:

– انطلق فأر كالسهم من أحد الثقوب وهرب من قبضة الأسد.

وبدأ حكاية (أب وابنه) التى تعد محاكاة لحكاية (الطحان وابنه والحمار) قائلا:

– فى الشارع كان يسير أب مع ابنه وبرفقته حماره.

ب. نهايات الحكايات:

كان لافونتين غالبا يسـدل سـتار حكاياته دون ذكر المغزى، معتمدا– كما ذكرنا من قبـل– على إجادة تصويره للأحـداث لكى تعبر عن المعنى بذاتها، على سـبيل المثال حكاية (الغراب والثعلب)، حيث ختمها قائلا:

– شعر الغراب بالخزى والعار مما حدث.

– وأقسم– وإن كان متأخرًا بعض الشىء– أنه لن ينصت للمتملقين

وختم حكاية (البغلان) قائلاً على لسان البغل حامل البرسيم:

– إذا لم تكن قد خدمت طحانا مثلى

– ما كنت متعبا هكذا.

وأنهى حكاية (الحمار والجرو) قائلاً:

– على الفور بدل الحمار ألحانه

– وهكذا انتهت الكوميديا.

كما ختم حكاية (الأعضاء والمعدة) التى تعد تمثيلية، قائلا:

– قد رآهم مينوس

– يشبهون الأعضاء

– وبهذه الأسطورة الأخلاقية

– أعادهم إلى أعمالهم.

لكن على الرغم من ذلک كان لافونتين أحيانا يختم بعض حكاياته كأيسوب بذكر مغزى الحكاية الذى يشـتمل على الوعظ والحكم. وهذا يـدل على عودة لافونتين فى بعض الأحيان إلى تقنية الحكى الشـعبى من حيث ذكـر المغزى، لكن هذا لايظهر كثيرا عنده، على سبيل المثال (حكاية الديک والقط والفأر) التى ختمها قائلاً:

– حاذر ما دمت حيا

– لاتحكم على الناس من مظهرهم

وكذلک حكاية (الطحان وابنه والحمار) التى تعد تمثيلية فقد اشتملت نهايتها – التى تعد إجابة على السؤال الذى طرح فى بدايتها– على وعظ، وهى على النحو التالى:

– وأما أنت فلتتبع المريخ أو الحب أو الملک.

– اذهب واجر واستقر فى الولاية.

– تزوج أو اعتكف أو التزم صنعة أو عملا فى الحكومة.

– لايمكن إغلاق أفواه الناس، فأى شخص سيقول شيئا، فلا تتردد فى هذا الشأن.

أما نسيم شمال فكان على عكس لافونتين، غالبا ما اعتمد على تقنية الحكى الشعبى وأنهـى حكاياته بحكمة ووعظ تعليمى أو أخلاقى، باسـتثناء حكاية (الغراب والثعلب)، فقد أسدل ستارها دون وعظ قائلا:

– غاص الغراب الصغير فى الغم وأقسم بجرأة شديدة

– أنه لن يسمع مرة أخرى كلام أحد وخاصة المتملقين الأخساء

ج. مغزى الحكايات:

كان لافونتين غالبا لايذكر مغزى الحكاية، بل كان يترک للقارئ اسـتنتاجه، وإذا ما ذكـره فكان ذكره يأتى إما فى مقدمة الحكاية وخاصة المقدمة التمهيدية كما فى حكاية

(الذئب والحمل) وحكاية (الأسد والفأر) وحكاية (الحمار والجرو) وإما أن يرد فى نهاية الحكاية مثل حكاية (الموت والحطاب)، وكذلك حكاية (الديك والقط والفأر)، أما نسيم شمال فغالبا ما كان يذكر مغزى الحكاية فى نهايتها.

بعد دراسة الحكايات تبين أن نسيم شمال اتفق مع لافونتين فى مغزى بعض الحكايات، مثل حكاية (الغراب والثعلب)، حيث أكد كل منهما ضرورة عدم الإنصات للمتملقين، وحكاية (الفأر الصغير) التى تقابل عند لافونتين (الديك والقط والفأر)؛ حيث اتفق الاثنان على ضرورة عدم الانخداع بالمظاهر، وفى حكاية (الغزال وشجرة الكرمة) أكد الاثنان أهمية الاعتراف بالجميل، أما فى حكاية (الحمار والجرو) فقد دعا كلاهما إلى ضرورة عدم تجاوز الحدود وضرورة تقدير كل شخص لإمكانياته. وفى حكاية (أب وابنه) التى تقابل عند لافونتين (الطحان وابنه والحمار) فقد أكد الاثنان ضرورة عدم الإصغاء لثرثرة الناس، لأنه لا جدوى منها، وأخيرا حكاية (الموت والحطاب)، حيث يختمها لافونتين قائلاً:

– الأفضل أن نعانى ونتألم بدلا من أن نموت

– هذا هو شعار بنى آدم فى هذا العالم

أما نسيم شمال، فقد ختم الحكاية قائلاً:

– أى إنسان فقير، مريض، عجوز لايشبع من الحياة

– ففى ظلمات سكرات الموت ينتظر نور جمال الحياة

أما حكاية (الذئب والحمل) فقد اعتمد نسيم شمال ولافونتين على الرمز فى مغزاها ذى المنحى السياسى، وقد عبر كل منهما عنه بأسلوبه، فلافونتين ركز على أن منطق القوة صار هو المفضل مما أدى إلى شيوع الظلم، فيقول:

– منطق الأقوى دائما هو الأفضل.

– وسنوضح ذلك حالا.

.....

– مزقه الذئب وأكله

– دون أن يتحرى الدقة

أما نسيم شمال فقد أكد أن البقاء للقوى وليس للضعيف، فكل من لايتمتع بالقوة يذل ويقتل، فيقول:

– كان الحمل الضعيف ينشد بنواح هذا الكلام تحت أسنان الذئب.

– كل ضعيف ذليل، والقوة أكبر دليل على ذلك.

علاوة على الحكايات السابقة، هناك حكاية بعنوان (البغلان) أكد لافونتين من خلالها ضرورة عدم تجاوز الحدود والتزام كل شخص بعمله، فيقول البغل حامل البرسيم لصديقه فى نهايتها:

– إذا لم تكن قد خدمت طحانا مثلى

– ما كنت متعبا هكذا

أما أيسوب الذى كانت حكايته بعنوان (ليس عندى ما أخسره) فقد أكد من خلال مغزاها أن الفقير المتواضع يعيش آمنا، أما الغنى فهو يعيش على حافة الخطر دائما.لكن نسيم شمال جمع بين كلا المغزيين، وقال على لسان البغل حامل البرسيم:

– ماذا فعلت بالمال والسلطة، السلامة فى فقر الصاحب

– عندما تجاوزت حدودك تجرعت الألم والمرارة.

فى النهاية نود أن نقول إن نسيم شمال رغم اتفاقه مع لافونتين غالبا فى مغزى الحكايات، فإنه لم يكن مترجما حرفيا، بل يمكن أن نقول إنه بعد أن استوعب موضوع الحكايات صاغها بأسلوبه وانتقل من مجرد الترجمة الجافة التى تلزم الأصل بطريقة حرفية إلى موضوع جديد، والدليل على ذلك وجود حكايات موجزة لديه فى حين أنها تتسم بالإسهاب عند لافونتين، مثل حكاية (أب وابنه) التى تقابل عند لافونتين– كما ذكرنا– حكاية (الطحان وابنه والحمار)، هذا فضلاً عن اختلاف أسلوبيهما وطريقة تصويرهما للحكاية، ولذلك سوف نذكر ترجمة حكاية (الفأر الصغير) لنسيم شمال ومقابلها عند لافونتين وهى بعنوان (الديك والقط والفأر) مثالا على اختلافهما فى تصوير الأحداث، أما مغزى الحكاية فرغم أنهما اتفقا عليه وهو ضرورة عدم الانخداع

بالمظاهر، فإن نسـيم شـمال قد استعان فيه بالرمز بهدف توضيح وضع بعض الناس فى بلاده.

أولا. ترجمة الحكاية عند لافونتين:

– فأر صغير مازالت خبراته محدودة.
– كاد أن يقع فى الفخ.
– فحكى لوالدته الحكاية على النحو التالى:
– عبرت الجبال التى تحيط بهذا البلد
– وقمت باجتيازها كفأر شاب
– يسعى فى الفضاء الواسع لكسب رزقه
– وقعت عينى على اثنين من الحيوانات
– أحدهم لطيف، وظريف وطيب القلب
– والآخر ماكر وخبيث وحائر
– لديه صوت خارق وقاسٍ.
– على رأسه قطعة لحم.
– كان لديه شىء يشبه المخلب وكان يرفع نفسه فى الجو،
– كالذى يريد أن ينهض للطيران.
– وله ذيل من الريش الملون الكثيف.
– هذا هو الديک الذى كان فأرنا يريد
– أن يصوره لأمه.
– كأنه الحيوان الذى أتى من أمريكا.
– قال: إنه قاتل وبرفرفة أجنحته
– كان يحدث ضجيجا وضوضاء
– ورغم فضل الله وما أتمتع به من شجاعة،
– لكنى هربت من شدة الخوف.

– ولعنته من كل قلبى.

– فلو لم يكن موجودا لاستطعت التعرف على هذا الحيوان اللطيف الصغير مثلنا.

– الذى لديه ذيل طويل ومتواضع.

– كان ينظر إلى بحياء لكن بعيون براقة محدقة.

– اعتقد أنه متعاطف جدا

– مع السادة الفئران، لأن لديه آذانا

– تشبه آذاننا.

– كنت أريد الاقتراب منه لكن الصوت المفاجئ

– جعلنى أهرب

– قالت الفأرة، يا بنى، هذا اللطيف هو القط

– الذى يخفى خلف طيبته الكذب والنفاق

– عكس من له صلة قرابة بك

– خبيث أراد أن يخدعك

– وعلى العكس تماما الحيوان الآخر

– فمن المستبعد أن يلحق بنا أى ضرر منه

– وربما يعد لنا فى يوم من الأيام طعامنا

– أما مطبخ القط فقائم على لحمنا

– حاذر ما دمت حيا

– ولا تحكم على الناس من مظهرهم

أما الحكاية عند نسيم شمال فهى على النحو التالى:

– ذات يوم خرج فأر صغير من الشق متجها إلى الصحراء الواسعة الرحبة.

– فوصل إلى سفح الجبل والمرج، فرأى هناك اثنين من الحيوانات.

– رأى قطة صغيرة كالعروس وخلفها ديك صغير.

– ولأنه لم يكن يعرف حبيبه من عدوه، عرض الفأر الوليد نفسه للخطر.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

– حيث أراد أن يتجه نحو القطة ليصبح فريسة لخصمه.
– فتقدم الفأر اللطيف نحو القطة، لكن الديک صاح فجأة.
– وعندما رفرف الديک بجناحيه، خاف منه الفأر الصغير.
– وذهب إلى أمه الحنون، وقال رأيت اثنين من الحيوانات اليوم.
– الأولى ناعمة ورشيقة وجميلة، جسدها كالحرير.
– كانت عيناها الزرقاوان مثل عيناک، ووبرها ناعم مثل وبرک.
– والثانى كان على رأسه تاج أحمر، ولحيته حمراء ومخيف وقبيح الشكل.
– أردت أن أذهب نحو الأولى، فرفرف الثانى بجناحيه.
– ففرت خوفا منه واتجهت نحو شق الغار.
– عندما سمعت أم الفأر هذا الكلام، انهمرت الدموع من عينيها.
– وقالت يا وليدى الصغير إنک لم تعرف الفرق بين العدو والصديق.
– ذات العيون الزرقاء التى رأيتها أولا، اسمها قطة وهى عدوتک.
– القطة ماجنة، وهى عدوة الفئران.
– وذاک الذى رأيته قبيح الشكل هو الديک، وهو أفضل من الجميع.
– خلصک من القتل، فحذار يا عزيزى كل الحذر.
– لاتنخدع بظاهر الأشخاص، ولاتأكل شيئا من أيدى الأخساء.

والحكاية الثانية التى سوف نستشهد بها هى حكاية (البلبل والنملة)، لكننا لن نكتفى بذكر ترجمتها عند كل من لافونتين ونسيم شمال فحسب، بل سنذكر ترجمتها عند سعدى الشيرازى أيضا لنرى كيف عالجها كل واحد منهم، فرغم اشتراكهم فى أبطال الحكاية والحدث الرئيس فيها وهو انشغال البلبل بالغناء والرقص، بينما النملة اهتمت بجمع الحبوب، لكنهم اختلفوا فى طريقة سرد الحكاية وتصويرها، هذا فضلا عن اختلاف المغزى، فسعدى الشيرازى الواعظ الدينى قد أكد فى نهاية حكايته ضرورة أن يجتهد الإنسان بزراعة الطاعة فى مزرعة الحياة، ليظفر بالآخرة. أما لافونتين فقد أسدل الستار دون وعظ وترک للقارئ استنباطه، أما نسيم شمال فقد أكد ضرورة التعلم وأهمية العمل

خلال فترة الشـــباب؛ لينعم الإنســـان بحياة كريمة فى الكبر، وهـــا هو نص الحكاية عند سعدى الشيرازى:

روى أن بلبلا ابتنى له عشـــا على فرع شجرة فى روضة، واتخذت نملة صدفة أسفل تلك الشجرة لها موطنا، وأنشأت لأيامها العديدة مقاما ومسكنا وكان البلبل يقضى نهاره وليله وهو يحلق حول الروضة ويرجع على بربط نغماته الآسرة ترجيعاته، وكانت النملة مشـــغولة فى ليلها ونهارها بجمع النفحات، وقـــد انتفج البلبل بصوته فى جنبات الروض كان البلبل يكلم الورد رمزا وكان ريح الصبا يزجى بينهما غمزا. وحين كانت هذه النملة الضعيفة تشاهد دلال الورد وضراعة البلبل كانت تقول بلسان الحال: ماذا يتأتى عن هذا القيل والقال وسوف يجد الجد فى وقت تال، فلما انقضى فصل الربيع وكل موسم الخريف وحل الشـــوك محل الورد ونـــزل الغراب فى مقام البلبل، وأخـــذت رياح الخريف تهب والأوراق تتســـاقط من الأشـــجار، واصفر وجه الورق، وبردت أنفاس الهواء وجعل الدر ينتثر من رأس السحاب، والكافور ينتخل من غربال الهواء، دخل البلبل بغتة الروضة فلم ير لون الورد ولم يشم رائحة السنبل فخرس لسانه الحكاء فليس من وردة يرى جمالها ولاخضرة يشـــاهد كمالها، فضاقت طاقته لفقـــره وعجز إعجازه لفاقته فتذكر أن نملة فى آخر الأيام ســـكنت بأسفل هذه الشجرة وكانت تجمع الحبوب، فيرفع اليوم حاجته إليها ويطلب منها شيئا بسبب قرب الدار وحق الجوار.

ذهب البلبل الجائع من عشرة أيام إلى النملة يستجديها، قال: أيتها العزيزة إن السخاء دليل الســـعادة وأساس الســـيادة، وكنت أمضى عمرى العزيز بغفلة وكنت تقومين بجليل الأعمال وتكدســـين الذخائر فلو تكرمت على بنصيب منها، فقالت النملة: كنت فى الليل والنهار فى القيل والقال وأنا فى جهيد الحال؟ كنت تشـــغل نفسك بنضارة الورد ونضارة الربيع، ولم تكن تدرى أن لكل ربيع خريفا ولكل طريق نهاية.

فاســـمعوا أيها الأعزاء قصة البلبل وقيســـوا عليها حالكم واعلموا أن وراء كل حياة وعقب كل وصال فراقا وليس صفاء الحياة بلا ثمالة وأطلس البقاء بدون برد الفناء، فإن خطوتم فى طريق الطاعة قرأتم: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ} (الانفطار: ١٣) ولكم جزاء وإن

بسطتم رحلكم فى ربع المعصية تلوتم: {وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ} (الانفطار: ١٤) لكم قصاصا، فلا تغفلوا فى ربيع الدنيا كالبلبل واجتهدوا وبزراعة الطاعة فى مزرعة الحياة؛ لأن الدنيا مزرعة الآخرة، فإن هبت ريح صرصر خريف الموت دخلتم شق القبر كالنمل بحبوب العمل الصالح، قال الحكماء لاتلبثوا عاطلين حتى إذا حلق نسر: {إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ} (الواقعة: ١) وبسط جناحى (ليس لوقعتها كاذبة) وقرع طبل (القارعة) وجاشت العقول من حرارة شمس القيامة وماجت القلوب من هيبة نفخة الصور كنت معذورا لانقض ظهر يد الحسرة بأسنان الحيرة فكان أمامك مثل هذا اليوم، واجتهدت لتحصل على الزاد أثناء هذه المهلة القصيرة وادخرت الذخيرة. وفى يوم القيامة تتحير ويتفكر خلائق الأرض وملائک السماء، ويرتعد الأنبياء، ويرتغب الأولياء، ويرتعش المقربون والحاضرون.

- إذا خاطب الله فى المحشر يا لقهر الأنبياء أين عذركم.
- فقل أجل ربى الستر عن وجه لطفک فللأشقياء أمل المغفرة.

فإن حصلت الزاد اليوم من مزرعة الدنيا طرحته بالغد فى الجنة الباقية.

- فاز بقصب السبق من الدنيا من حمل معه نصيبا على الآخرة.

بينما الحكاية عند لافونتين على النحو التالى:

- كان البلبل يشدو
- خلال فصل الصيف
- لكنه فقد كل شىء
- عندما هبت الريح
- فلا يملک شيئا
- من الذباب أو الديدان
- ذهب باكيا من الجوع
- إلى جارته النملة
- يطلب منها أن تقرضه

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

– بعض الحبوب من أجل البقاء على قيد الحياة

– حتى الموسم الجديد

– وقال لها: قبل أغسطس وأقسم لها بشرف الحيوانات.

– سأرد لک الدين وفوائده

– النملة لاتقرض

– فالإقراض ليس من طبعها

– ماذا كنت تفعل فى فصل الصيف؟

– قال لها لهذا المفترض

– ليل نهار كنت أغنى

– ألا يرضيک

– تغنى؟ أنا سعيدة

– حسنا أرقص الآن

أما الحكاية عند نسيم شمال فهى على النحو التالى:

– كان هناک بلبل ثمل دائما يرقص على الأغصان المتشعبة فى فصل الربيع.

– وكانت هناک نملة تحمل الحبوب داخل جحرها من أجل الشتاء.

– وبسبب التفكير فى الشتاء انشغلت ليل نهار بجمع الحبوب وهى مفعمة بالسعادة.

– عندما مر فصل الربيع والخريف، ورفعت الشتاء رايتها على الصحارى والوديان.

– واختفى أى أثر للون الأخضر والبنفسجى فى الصحارى والبساتين إلا الثلج.

– صار البلبل العاجز أسيرا للثلج، ولم يعد قادرا على الحركة.

– فجاء يشحذ، وهكذا قال للنملة الضعيفة الصغيرة:

– اقرضينى بعض الحبوب، فالقرض ضرورى وقت الضيق.

– فردت عليه النملة: خلال فصل الربيع لماذا لم تفكر فى مثل هذا الوقت؟

– هكذا رد البلبل المغرد: كنت أرغب فى الرقص والغناء.

– أسعدت قلبى بالغناء، ولم أفكر فى الشتاء

– قالت له النملة الصداقة شيء، لكن الإقراض ليس من طبعي.

– أيها الصديق كل ما تريده اطلبه منى، لكن لا تقترض منى دون رهن.

– لقد قال لى ملا قلى عدة مرات، إذا كنت عاقلة فلا تقرضى مطلقا.

– الخلاصة وقع البلبل ومات حزنا لكنه حمل حسرته على الحبوب معه فى القبر.

– يا عزيزى التقط السكر بشفاهک كالببغاء، واتعظ من ذلک البلبل وتلک النملة الصغيرة.

– انشغل بالعمل خلال فترة الشباب، وإلا صرت ذليلا وعاجزا فى مرحلة الشيخوخة.

– لاتغفل التدريب والتعليم، واخش الجهل والفقر فى مرحلة الشيخوخة.

– عندما يشحب وجهک ويبيض شعرک، ستصبح الحياة بلا جدوى.

– ليست الأسنان للشواء والطعام، وليس الرضا فى وجود زوجة لک فى البيت.

– ليس هناک معين للإنسان إلا العلم، ومؤنسک الوحيد هو أشرف الدين.

المصادر والمراجع

درويش، أحمد. ١٩٩٦م. *الأدب المقارن: النظرية والتطبيق*. ط ٣. القاهرة: دار الفكر الحديث.

بدوى، أمين عبدالمجيد. ١٩٨١م. *القصة فى الأدب الفارسى*. بيروت: دار النهضة العربية.

إمام عبد الفتاح، إمام. ٢٠٠٣م. *حكايات إيسوب: دراسة وتعليق وترجمة*. مجلة القاهرة: العدد ١٥٣.

غنيمى هلال، محمد. لاتا. *الأدب المقارن*. القاهرة: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

الحسينى، اشرف الدين. ١٣٧٥ش. *كليات سيد اشرف الدين گيلانى* (نسيم شمال) باهتمام احمد اداره چى گيلانى. تهران : انتشارات نگاه.

عاطف راد، مهدى. ١٣٨۴ش. *نسيم شمال: بنيادگر ادبيات كودكان در ايران*. شاعر مردم باهتمام: على اصغر محمد خانى. تهران: انتشارات سخن.

درودیان، ولی الله. ١٣٨۴ش. *لافونتين وسيد اشرف الدين حسينى قزوينى*. شاعر مردم باهتمام: على اصغر محمد خانى. تهران: انتشارات سخن.